The Muslims Conquest of Egypt (21HA-642AD) In the Works of Abdel Moneim Majeed presentation, criticism and analysis

Asst. Lect. Alahan Rashed Manit
University of Baghdad -College of Arts
allahin.rashed1106a@coart.uobaghdad.edu.iq

Prof. Zakia Hassan Al-Dulaimi (Ph.D)
University of Baghdad -College of Arts
zakiahassn@coart.uobaghdad.edu.iq

DOI: https://doi.org/10.31973/pbhzdv31

Abstract

A historian's task is serious , especially when his or her subject requires analysis of historical events. Some historians are characterized by objectivity, honesty, and accuracy. They investigate historical material and study it in depth so that they can pass their judgment based on deep knowledge and perceptive approach. Some of them are influenced by mainstream cultures and certain intellectual trends, which put the historical material at risk of inaccuracy, honesty and deviation from the historical research methodology . The harm of this approach is extremely severe especially when the writer or historian possesses a scholarly status. Therefore, due to the importance of this issue, the writings of Abdel Moneim Maged, one of the most prominent modern Egyptian historians, who had a diverse and significant output in Islamic history, were selected for evaluation in this study.

Key words: AbdAlmonem, Conquest, Egypt,

فتح المسلمين لمصر من خلال كتابات عبد المنعم ماجد (٢١هـ -٦٤٢م) عرض ونقد وتحليل

م.م علاهن راشد منيت
جامعة بغداد/ كلية الآداب
allahin.rashed1106a@coart.uobaghdad.edu.iq

أ.د. زكية حسن ابراهيم الدليمي
جامعة بغداد / كلية الآداب
zakiahassn@coart.uobaghdad.edu.iq

(مُلَخَّصُ البَحث)

إن مهمة المؤرخ خطيرة ليست بالأمر الهين، ولاسيما إن صاحبها تحليل للحوادث التاريخية فمن المؤرخين من يتصف بالموضوعية، والأمانة، والدقة، فيستقصي الكتابات التاريخية، ويحيط بها إحاطة واعية مدركه فيضع الأمور في نصابها الصحيح، وبعضهم من يتأثر بالثقافات السائدة وبتوجهات فكرية معينة مما يعرض المادة التاريخية لخطر عدم الدقة، والأمانة، والانحراف عن منهجية البحث التاريخي، ويكون الضرر أشد

ان كان للكاتب أو للمؤرخ منزلة علمية؛ لذا ولأهمية ذلك وقع الاختيار على أحد أهم المؤرخين المصريين المحدثين، والذي كان له نتاج متنوع وكبير في التاريخ الإسلامي عبد المنعم ماجد من أجل تقويم ما كتبه.

الكلمات المفتاحية: فتح، مصر، عبد المنعم

مُقَدِّمَةُ

إن الكتابة التاريخية مهمة خطيرة ليست بالأمر الهين، ولا سيما إن صاحبها تحليل للحوادث التاريخية، فكل سيدلي بدلوه، فمن المؤرخين من يتصف بالموضوعية ،والأمانة، والدقة، فيستقصي الكتابات التاريخية ويحيط بها إحاطة واعية ومدركة، فيضع الأمور في نصابها الصحيح. وبعضهم قد يتأثر بالثقافات السائدة، أو بتوجهات فكرية معينة .

ومن المؤرخين الذين تأثروا بالمستشرقين الدكتور عبد المنعم ماجد، الذي كتب عن موضوعات مختلفة في التاريخ الإسلامي، ومنها: فتح مصر، ومن أجل تقويم ما كتبه، كان هذا البحث المستل الموسوم ب(فتح المسلمين لمصر في كتابات عبد المنعم ماجد ٢١هـ – ٦٤٢ عرض ونقد).

واشتمل على:

أولاً: تعريف عبد المنعم ماجد.

ثانياً: دخول مصر في الإسلام.

ثالثاً: أحوال مصر في العصر العباسي.

الخاتمة.

المصادر والمراجع.

والله من وراء القصد.

أولاً: تعريف عبد المنعم ماجد

هذا تعريف موجز بالدكتور عبد المنعم ماجد، تماشياً مع محدودية البحث.

أولاً: اسمه ومولده: هو عبد المنعم عبد الجواد ماجد، ولد في مدينة الإسكندرية بمصر سنة ١٩٢١م (عوض، ٢٠٠٧، ص٢٩٤).

ثانيًا: نشأته: اتصف عبد المنعم ماجد بالذكاء منذ طفولته، و ظهر أثر ذلك في تحصيله الدراسي حتى حصوله على شهادة الليسانس بامتياز من قسم التاريخ بكلية الآداب– جامعة الإسكندرية في عام ١٩٤٥م، وقد أهله تفوقه لإرساله في بعثة علمية للحصول على شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون في باريس، فنال فيها الدكتوراه عام ١٩٥١م بمرتبة الشرف الأولى(عوض، ٢٠٠٧، ص٢٩٤).

ثالثًا: تدرجه العلمي: تدرج عبد المنعم ماجد إلى درجة مدرس، ثم أستاذ مساعد حتى نال درجة الأستاذية عام ١٩٦٨م، وأصبح أستاذا متمرساً من عام ١٩٨١ حتى وفاته عام ١٩٩٩م (القطان، ٢٠٢٢، ص٢٤).

رابعًا: مؤلفاته: ألف عبد المنعم ماجد عدداً كبيراً من الكتب، وكتب كثيراً من البحوث والمقالات، ومؤلفاته هي:

١. نظم الفاطميين ورسومهم في مصر(ماجد، ١٩٥١).
٢. مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي والتعريف بمصادر تاريخ الإسلامي ومنهجه الحديث(ماجد،١٩٥٣).
٣. السجلات المستنصرية، سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى دعاة اليمن وغيرهم (تقديم وتحقيق)(ماجد، ١٩٤٥).
٤. التاريخ الإسلامي للدولة العربية (عصور الجاهلية، والنبوة، والخلفاء الراشدين)(ماجد، ١٩٥٦).
٥. التاريخ السياسي للدولة العربية (عصر الخلفاء الأمويين)(ماجد،١٩٥٦).
٦. الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه(ماجد، ١٩٥٩).
٧. الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى(ماجد، ١٩٦٠).
٨. الإمام المستنصر بالله الفاطمي(ماجد، ١٩٦٠).
٩. تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى(ماجد، ١٩٦٣).
١٠. نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر(ماجد، ١٩٦٥).
١١. العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى(ماجد، ١٩٦٦).
١٢. الناصر صلاح الدين الأيوبي(ماجد، ١٩٦٧).
١٣. تاريخ إفريقية، شارل أندريه جوليان(ماجد، ١٩٦٨).
١٤. ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر (التاريخ السياسي) (ماجد، ١٩٦٩).
١٥. العصر العباسي الأول أو القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسي (التاريخ السياسي) (ماجد، ١٩٧٣).
١٦. سياسة الفاطميين في الخليج العربي، مستمدة من السجلات المستنصرية- وثائق فاطمية معاصرة(ماجد، ١٩٧٧).
١٧. طومان باي آخر سلاطين المماليك في مصر (دراسة للأسباب التي أنهت حكم دولة سلاطين المماليك في مصر) (ماجد، ١٩٧٨).
١٨. جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافق السنين الميلادية بأيامها وشهورها(ماجد، ١٩٨١).
١٩. خواطر سائح مصري في رحله إلى إسبانيا في الماضي والحاضر(ماجد، ١٩٨٣).
٢٠. التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر (دراسة تحليلية للازدهار والانهيار) (ماجد، ١٩٨٤).
٢١. الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية والتاريخ السياسي(ماجد، ١٩٩٥).
٢٢. مذكرات مبعوث مصري إلى باريس، حوار بين نحن والأخر(عوض،ص ٢٩٧).

خامسًا: وفاته: توفي عبد المنعم ماجد في ٢٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٩م(القطان، ٢٠٢٢، ص٢٦).

ثانياً: دخول مصر في الإسلام

ذكر عبد المنعم ماجد دخول مصر في الإسلام، فقال: " بقى المصريون منذ الفتح العربي وقتاً طويلاً محتفظين بدينهم ولغتهم؛ ولكن منذ حكم الخلافة العباسية، وحتى قبل ذلك، حدثت ظروف كثيرة جعلت أهل مصر الأقباط يقبلون على الإسلام وتعلم العربية؛ فكان هذا التحول للإسلام والاستعراب حاسماً في تاريخ مصر، بدأت به فترة جديدة تختلف في طابعها عن الطابع الفرعوني والمسيحي السابق"(ماجد، ١٩٦٩م ،ص ٥٢).

وقال: " وكان تحول المصريين إلى الإسلام هادئاً ذاتياً، وليس عن طريق إرسال الرسل والتلاميذ والمبشرين، ولم يتبعه تضحيات واستشهادات، كما حدث عند اعتناق المسيحية، كذلك دخول المصريين إلى الإسلام أسرع من دخولهم إلى في المسيحية، فكانت من أكثر الأقاليم التي فتحها العرب إقبالاً على اعتناق الإسلام"(ماجد، ١٩٦٩م ،ص ٥٢) ، وذكر اعتراف النصارى بهذا التحول، فكثير من القبط وبعض الأساقفة وكبار رجال الدين المسيحي قد اعتنقوا الإسلام بمدة قصيرة(ماجد، ١٩٦٩م ،ص ٥٢).

واستدل عبد المنعم ماجد على ذلك بإحصائيات ضريبة الجزية "التي فرضت على القبط، نجد أنه بعد أن كان دخلها بالملايين في أيام الفتح الأولى، تناقصت سريعاً، حتى لم تزد على مائة وثلاثين ألفاً في عهد الفاطميين، وأصبحت تسمى جوالي، بدل الجزية، لأن القبط في عهد هؤلاء أصبحوا جالية صغير"(ماجد، ١٩٦٩م ،ص ٥٣).

والحقيقة أن تعليل عبد المنعم ماجد لتسمية الجوالي غير صحيح، فهي ليست مشتقة من الجالبة، بل من الإجلاء؛ " لأن عقد الذمة موضوع للتأبيد، فاحتاج إلى ديوان يفرد له، وقد سمي ديوان الجوالي، لأنهم أجلوا عن الحجاز، فسمّوا جوالي" ،(الماوردي ١٩٩٤م ص٣٣١) (الروياني، ٢٠٠٩م،ص٣٧٨) .

وقد " قيل لأهل الذمة من اليهود جالية؛ لأن عمر (رضي الله عنه) أجلاهم عن جزيرة العرب لما تقدم من أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيهم، ثم لزم هذا الاسم كل من لزمته الجزية من أهل الكتاب والمجوس بكل بلد وإن لم يجلوا عن أوطانهم، ويقال: استعمل فلان على الجالية إذا ولي على أخذ الجزية منهم وإنما أنث على تأويل الجماعة والجمع الجوالي" (المطرزي، ص٨٨).

واستبعد عبد المنعم ماجد أن يكون المصريون قد "أسلموا بسبب الرغبة في تفادي المعاملة السيئة التي عامل بها العرب غير المسلمين، أو رغبة في التهرب من دفع الجزية، أو لاكتساب مركز أدبي معين، حيث يحاول كثير من المؤرخين أن يجعلوا من هذه المنافع

المادية العامل الأول في تحول المصريين للإسلام، حقا أن هذه الأمور، قد يكون لها أثرها في بعض النفوس؛ ولكن لا يمكن أن تكون هي السبب في تغيير إيمان أمة بأكملها، وقد رأينا في العصر المسيحي، صورة واضحة تدل على تضحية المصري في سبيل العقيدة""(ماجد، ١٩٦٩م ،ص٥٣).

وهنا ملاحظتان:

الأولى: لم يستطع عبد المنعم ماجد أن يتخلى عن أسلوبه في الطعن بالمسلمين، فذكر معاملة المسلمين السيئة لغير المسلمين، والغريب أنه ترك آلاف المصادر والمراجع الإسلامية المحايدة بل والمنصفة من مؤلفات غير المسلمين، من أجل معرفة الحقيقة، ورجع إلى ساويرس النصراني ليوثق هذه النص منه(ابن المقفع، ١٩٤٣م، ص٧١- ٧٢).

ولم يهدم المسلمون كنيسة واحدة لنصارى مصر مطلقاً، وهذا البطريق النسطوري ياف الثالث قد بعث برسالة إلى سمعان مطران ريفار دشير ورئيس أساقفة فارس: "وإن العرب الذين منحهم الله سلطان الدنيا يشاهدون ما أنتم عليه وهم بينكم، كما تعلمون ذلك حق العلم، ومع ذلك فهم لا يحاربون العقيدة المسيحية، بل على العكس يعطفون على ديننا ويكرمون قُسسنا، ويجودون بالفضل على الكنائس والأديرة"(أرنولد، ١٩٧١م، ص ٩٨).

وقال غوستاف لوبون: "كانوا يحترمون عقائد الشعوب وعرفها وعاداتهم مكتفين بأخذهم في مقابل حمايتها جزية زهيدة تقل عما كانت تدفعه إلى ساداتهم السابقين من الضرائب، كما حافظوا على كنائس النصارى ولم يمسوها بسوء" (لوبون، ٢٠١٢م، ص١٣٤).

ونقل عن إميل لودفيج(حليق، ١٩٤٨م، ص٣) قوله: "عاش السلاطين على شواطئ النيل مسالمين للنصارى قروناً كثيرة، ويقع الصراع ذات حين، وتصعب معرفة المسئول عن ذلك، ولا عجب، ما دمنا لا نعرف المسؤول عن الحوادث العصرية في الغالب، ومع ذلك يلوح أن التبعة تقع على النصارى، لما كان من رغبتهم في حمل الناس على اعتناق دينهم" (أحمد، ١٩٨٩م، ص ١٩٤).

الثاني: إن مصر دخلت الإسلام كغيرها من الدول تدريجياً، إلا أنه تأخر إسلامها قياساً بدول أخرى، مثل: العراق أو الشام أو حتى فارس؛ لأن مصر كانت قاعدة دينية مهمة، وموئلاً للكنيسة الأرثوذكسية، تقول لجنة التاريخ القبطي بالكنيسة الأرثوذكسية: " بنيامين البابا الثامن والثلاثون (٦٢٥-٦٦٤م): في عهده استرد هرقل ملك الروم مصر من الفرس، وأقام قِبَلِه عاملاً يونانيًا للخراج اسمه جريج بن مينا وجعله فوق ذلك بطريركًا ملكيًا، وهو الملقب بالمقوقس، وكان هرقل قد أقام أساقفة خلقدونيين (ملكيين) لسائر إيبارشيات مصر، فاختفى البابا بنيامين هو والأساقفة الأرثوذكسيون ودام هذا الاختفاء ثلاث عشرة سنة حاق في خلالها البلاء بأهل البلاد، إذ اضطهدهم الأساقفة الملكيون بغية إكراههم على اتباع عقيدة

الطبيعتين، وقد اتبعها بعضهم فعلاً، وفي هذه الأثناء فتح العرب مصر على يد عمرو بن العاص، فكتب عمرو عهدًا بالأمان نشره في أنحاء مصر يدعو فيه البابا بنيامين إلى العودة إلى مقر كرسيه ويؤمِّنه على حياته، فظهر البابا وذهب إلى عمرو، فاحتفى به وردَّه إلى مركزه عزيز الجانب موفور الكرامة، فأخذ يعمل على أن يسترد إلى الحظيرة الأرثوذكسية الإبيارشيات التي استمالها الملكيون (الكاثوليك)، فكُلل عمله بالنجاح، وكذلك عمَّر الأديرة التي خربها الفرس في وادي النطرون، وجمع إليها رهبانها الباقين المشتتين، وفي آخر أيامه أراد إعادة تعمير كنيسة مار مرقس التي هدمت وقت فتح الإسكندرية، فلم تمهله المنية، وكان البابا بنيامين موصوفًا بحسن التبصر حتى أطلق عليه لقب الحكيم، وكان هذا من الأسباب التي جعلت عمرو يأنس إليه ويستهدي برأيه في شئون البلاد "(١٩٩٦م، ص ١١٤- ١١٥).

ويذكر عبد المنعم ماجد أن ما جاء به دعوة الإسلام لعبادة الإله الواحد المجرد، قد قربت عقيدة الدين إلى العقول المتعطشة للحقيقة، وفوق ذلك جاء الإسلام بمبادئ ساحرة خلابة، فضلاً عن أن العقيدة المسيحية في مصر لم ترسخ ولا سيما بعد هروب رجال الدين من مصر إلى صحاري الجزر، مما يجعل المصريين يجهلون تفاصيله، وينقطعون عن إقامة طقوسه، ولطول الاضطهاد في عصور الرومان الوثنيين والبيزنطيين الذين كانوا على عقيدة مسيحية مخالفة لعقيدة المصريين المسيحية، كما ذكر أن الدين المسيحي قد ظهر في عصر أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع، والإسلام ظهر في أوائل القرن السابع، فالمدة التي بقي المصريون فيها فصار حوالي ثلاثة قروناً وهي غير كافية لترسيخ مبادئ دين، فضلاً عن قلقه في أثناء هذه المدة في قلوب الكثيرين وجهلهم فيه (ماجد، ١٩٦٩م، ص ٥٧).

ومن ناحية أخرى، يرى عبد المنعم ماجد أن من أسباب إقبال المصريين على الإسلام "إن الطبيعة الواحدة في النصرانية المصرية قد تتوافق في معناها الضيق مع الوحدانية الإسلامية، وفوق ذلك؛ فإن الإسلام يجد أن أقرب الناس إليه هم النصارى؛ فوجد المسيحيين في مصر أقرب الناس إليه، وفي الواقع أن الإسلام بعامة له ميزة بأنه لم يقطع صلته بالأديان السماوية الأخرى وجعلها جميعاً متصلة؛ بحيث اعتبر آخر الأديان السماوية، فهو يعترف باليهودية والمسيحية، بل باديان أخرى غير سماوية مثل:الهندوكية والكونفشوسية والمجوسية، واعتبرها ديانات شبه سماوية، وذلك على عكس المسيحية التي كانت في صراع شديد واختلاف مع عقيدة الطبيعة الواحدة المصرية" (ماجد، ١٩٦٩م ،ص٥٨).

وما ذكره عبد المنعم ماجد من أن النصارى هم أقرب الناس إلى الإسلام، نص عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (سورة المائدة: الآية ٨٢).

أما المجوس، فورد ذكرهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (سورة الحج: الآية ١٧).

أما ما زعمه حول الهندوكية والكونفشوسية فلا أساس له من الصحة.

وبين عبد المنعم ماجد إقبال القبط على تعلم العربية، وإن "انتشار الإسلام كان هو العامل الأساسي في انتشارها، ولا سيما أن اللغة القبطية لم تكن غريبة عن اللغات السامية: فاللغة القبطية، التي هي اللغة المصرية فيها أصول سامية في كلماتها، كما أن كثيراً من الحروف السامية توجد فيها مثلا: ح، غ، خ ... وأخذت العربية مكانها، ولم تقتصر على من أسلم، بل تعلمها القبط أنفسهم الذين اضطروا إلى ترجمة الأناجيل والتوراة إلى العربية في زمن مبكر، وإن لم يكن القبط قد فعلوا ذلك، ما كانت عقيدتهم لتبقى... ولا سيما أن اللغة القبطية، قد أهملت، ومع ذلك بقيت الصلوات بالقبطية، وإن شرحت بالعربية، وهو تقليد لا يزال يوجد حتى الآن في مصر... فكانت اللغة العربية والدين الإسلامي هما سبب امتزاج شعوب المنطقة التي فيها مصر، وظهور الإحساس المبكر بالقومية العربية؛ لأن العرب أعطوا لغتهم ودينهم لمصر ولهذه الشعوب"(ماجد، ١٩٦٩م، ص٦٠). والحقيقة أن وجود أصوات في لغة ما لا يجعلها من عائلة تلك اللغة، فاللغة القبطية ليست من اللغات السامية(عصفور، ١٩٨٧م، ص ١٢٧).

ثالثاً: أحوال مصر في العصر العباسي

ذكر عبد المنعم ماجد أحوال مصر في العصر العباسي، وتحديداً في عهد نفوذ الأتراك على الخليفة العباسي في بغداد، ولا سيما عندما تولى مصر المملوك التركي أحمد بن طولون[1] (عصفور، ١٩٨٧م، ص ١٢٧) سنة (٢٥٤ هـ/٨٦٨ م)، الذي "طمع أن يحكم مصر لحسابه الخاص، ولم يكن من الممكن أن يستقل بمصر نهائياً عن الخلافة العباسية، وهو في ذلك مثل أي والٍ أخر من ولاتها، وإلا اعتبر خارجاً عن السلطة الشرعية، وإنما كان يستطيع أن يجعل إمارته في عصر إمارة استيلاء، وبمقتضاها يصبح أميراً مسؤولاً، خرج عن طاعة الخليفة واستأثر بالإقليم لنفسه، فيكون تقليده صورياً على كره من الخليفة، الذي يقلده إياه حفظاً لهيبته، وحتى لا تتعطل الأحكام الشرعية" (ابن عساكر،١٩٩٥م ، ص ٢١٤)

[1]أحمد بن طولون، أبو العباس، تركي أمير الديار المصرية والشامية والثغور، ولد في سامراء سنة (٢٢٠ هـ/٨٣٥ م)، كان شجاعاً ،حسن السيرة، شديداً على خصومه، بنى الجامع المنسوب إليه في القاهرة. ومن آثاره قلعة يافا بفلسطين، تفقه وتأدب وتقدم عند الخليفة المتوكل فولاه الثغور وإمرة دمشق ثم مصر سنة (٢٥٤ه/٨٦٨م)، ووقعت له مع الموفق العباسي أمور، فرحل بجيش إلى انطاكية فمرض فيها، فركب البحر إلى مصر، وتوفي فيها سنة (٢٧٠هـ/ ٨٨٤م).

وأخذ ابن طولون "يتقرب من المصريين، وإن كان هذا لا يعني أنه شجع مبدأ القومية المصرية؛ ولكن كان مثل بقية القواد الترك يعمل لحسابه الخاص، فاتخذ منهم الوزراء، وأبقى القبط في الدواوين، كما أكثر من إقامة المآدب في المناسبات

وذكر عبد المنعم ماجد بعض منجزات أحمد بن طولون، فقد "كان المصريون يكرهون عامل الخراج من قبل الخليفة العباسي، واسمه أحمد بن المدبر(ماجد، ١٩٦٩م ،ص ٦٣) ، وهو الذي كان قد فرض عليهم ضريبة جديدة سماها: الهلالي أو المكوس للشعب"(ماجد، ١٩٦٩م ،ص ٦٢).[٢] (ابن عساكر،١٩٩٥م ، ص ٣٩٠) ، تجبى على كل شيء، ووضع يده على كل ما يملكونه سواء أكانوا مسلمين أم نصارى أم يهود(ابن منظور، ١٩٦٨م، ص٢٢٠) ... فتخلص ابن طولون منه، وأزال عن المصريين معظم المكوس، وكان يذهب إلى رهبان القبط في أديرتهم، ومنع أن تؤخذ الجزية على رؤوسهم" (المقريزي، ١٩٩٨م، ص ١٠٧). وأكد المؤرخون أن أحمد بن طولون حبس أحمد بن المدبّر، وأخذ أمواله، ثمَّ صالحه على ستِّ مئة ألفِ دينار(ماجد، ١٩٦٩م ،ص ٦٣).

وقال عبد المنعم: "ولكن طموح ابن طولون الذي شجعه شعب مصر أقلق الحكومة المركزية في سرَ من رأى، وخصوصاً أن ابن طولون سعى أيضًا إلى نقل الخليفة العباسي(سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣م، ص ٤٧)... وكان أخو الخليفة واسمه: أبو أحمد الموفق [*٣](الطبري،١٩٦٧م، ص ٤٦٢)(مغلطاي، ص ١٣١) ، هو المسيطر على الحكم في سامراء بمعاونه القواد الأتراك فإنه منع الخليفة من الهروب، ، وأبقاه تحت سيطرته، كذلك عمد الموفق إلى تدبير مؤامرة ضد ابن طولون، فطلب منه المثول إلى سامراء، ولما رفض أغرى العباس [٤](ابن عساكر، ١٩٥٧م، ص ١٥٩) ابن طولون الأكبر ضده أبيه، وإن استطاع ابن طولون قتله ابنه"[*٥] (الطبري،٢٠٠٠م، ص ٤٥١)

---

[٢]هو أحمد بن محمد بن عبيد الله بن أخو إبراهيم بن المدبّر وكلاهما من كتاب المتوكل، تولى أحمد بن المدبر الخراج بمصر، فحبسه أحمد بن طولون في سنة (٢٦٥ه/٨٧٩م)، ومات في حبسه في سنة (٢٧٠ه/٨٨٣م)، وقيل بل قتله ابن طولون.

[*٣]هو الخليفة العباسي أبو العباس أحمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم المعتمد على الله. ولد بسامراء سنة (٢٢٩ هـ/٨٤٣م)، وولي الخلافة سنة (٢٥٦هـ/٨٧٠م) بعد مقتل المهتدي باللَّه بيومين، وتوفي ببغداد سنة (٢٧٩ هـ/٨٩٢ م) ودفن بسامراء

[٤]هو محمد وقيل: أحمد بن جعفر بن المعتصم العباسي، أبو أحمد، أمير، من رجال السياسة والإدارة والحزم، لم يل الخلافة اسماً؛ ولكنه تولاها فعلاً. ولد ببغداد، ولي المعتمد على الله الخلافة سنة (٢٥٦ه/٨٧٠م) وآلت إليه ولاية العهد، وظهر ضعف المعتمد عن القيام بأعباء الدولة، فنهض بها الموفق، وصدّ عنه غارات الطامعين بالملك، ثم حجر عليه، حتى كان المعتمد يتمنى الشيء اليسير فلا يحصل عليه. وكان شجاعا موفقا عادلا، عالما بالأدب والأنساب والقضاء، له مواقف محمودة في الحروب وغيرها. توفي في أيام أخيه المعتمد سنة (٢٧٨ هـ/٨٩١ م).

[*٥]هو العباس بن أحمد بن طولون، من شعراء الأمراء، ولد سنة (٢٤٢ه/٨٥٦م)، حكم مصر نيابة عن أبيه، وطمع بالملك عندما رحل أبوه إلى الشام، فلما علم أبوه بالخبر، خاف العباس، وحمل ما استطاع من أموال الخزائن وفرّ إلى برقة سنة (٢٦٥ه/٨٧٨م) وأظهر العصيان، وعاد أبوه إلى مصر، فوجه إلى إفريقية جيشاً قاتله العباس ففشل، وقبض عليه وحمل إلى مصر، فأمر أبوه بضربه. وسجنه مقيداً فظل إلى أن مات

ولكن بسبب توتر أوضاع الخلافة العباسية وقيام ثورة الزنج (٢٥٥-٢٧٠ هـ/٨٦٩-٨٨٤ م) (ماجد، ١٩٦٩م ،ص ٦٤) جعلت الموفق يرضى بصلح ابن طولون على مضض، وأن يعترف له بولايته على مصر والشام، فحكم فيها ابن طولون إلى أن توفي في ذي القعدة عام (٢٧٠ هـ/٨٨٤ م) (المقدسي، ص١٢٥)(ابن مسكويه، ص٤٥١).

وولي بعد ابن طولون ابنه خمارويه [٦*](ابن عساكر،١٩٥٧ ، ص ٤٦) فجاء بالطموح أبيه ذاته، وأظهر عزمه على الاحتفاظ بمصر والشام كولايتي استيلاء، وقد لجأ خمارويه إلى الدبلوماسية، فزوج ابنته من الخليفة المعتضد بالله [٧*](مؤلف مجهول، ١٩٧١م، ص ٤١٤)، ولقاء ذلك منحه المعتضد حكم مصر والشام ثلاثين عاماً، وقيل: إن الخليفة العباسي قد تعامل مع خمارويه بعدها، وإنه لم يقبل الزواج إلا بقصد إفقار مالية أموال مصر(ابن الأثير، ص ٣٤٦) (ماجد، ١٩٦٩، ص ٦٤) حتى يسترد سيطرته عليها، ولم يلبث خمارويه أن قتل على يد جارتيه سنة (٢٨٢ هـ/٨٩٥ م) التي دست له السم فانتهز الخليفة العباسي المكتفي بالله [٨*](السيوطي، ٢٠٠٤م،ص ٢٧٣) اضطراب الأمور في مصر وأرسل جيشه إلى مصر بقيادة محمد بن سليمان [٩*](ابن تغري بردي، ١٣٨٣هـ ، ص١١٢) (الزركلي، ٢٠٠٢م، ص ١٤٩) ، الذي هدم القطائع عاصمة الطولونيين ودمرها، "وحمل أسرة ابن طولون كأسرى إلى بغداد، وبذلك انتهى حكم الطولونيين في مصر الذي دام اثنتين وثلاثين سنة، بعدها عادت مصر ولاية خاضعة للخلافة العراقية" (ماجد، ١٩٦٩، ص ٦٥).

أبوه سنة (٢٧٠ه/٨٨٤م) وولي أخوه خمارويه ابن أحمد بن طولون فطلب هذا من العباس أن يبايعه، فامتنع، فقتله سنة (٢٧٠ه/٨٨٤م)

[٦*] هو خمارويه بن أحمد بن طولون، أبو الجيش، ولد في سامراء سنة (٢٥٠هـ/٨٦٤م)، من ملوك الدولة الطولونية بمصر، وليها بعد وفاة أبيه سنة (٢٧٠ه/٨٨٤م)، وله من العمر عشرون عاماً، وأنشأ بستاناً وقصراً من أعجب المباني. وفي أواخر أيامه تزوج المعتضد العباسي ابنته قطر الندى، اتسع الملك في أيامه، فكان له من الفرات إلى بلاد النوبة. وقتله غلمانه على فراشه في دمشق سنة (٢٨٢ هـ/٨٩٦ م) وحمل تابوته إلى مصر.

[٧*] هو أحمد بن الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل، المعتضد بالله، بويع بالخلافة في صبيحة الليلة التي توفي فيها المعتمد على الله في الثاني عشر من رجب سنة (٢٧٩ه/٨٩٢م)، توفي المعتضد سنة(٢٨٩ه/٩٠٢ م).

[٨*] هو علي بن أحمد بن الموفق بن المتوكل، أبو محمد المُكتفي بالله، من خلفاء الدولة العباسية، ولد سنة (٢٦٣ه/٨٧٦م)، أقام بالرقة وبويع له بالخلافة سنة (٢٨٩ه/٩٠٢ م)، قام بشؤون الملك، وظفر في أكثر حروبه مع الثائرين عليه، وأنفق الأموال العظيمة في حروب القرامطة الخارجين على الحجيج، حتى أبادهم واستأصلهم. وفي أيامه فتحت أنطاكية وكان الروم قد استولوا عليها. توفي شاباً ببغداد سنة (٢٩٥هـ/٩٠٨م).

[٩*] هو محمد بن سليمان، أبو علي، الكاتب الحنيفي نسبة إلى رجل يدعى حنيفة السمرقندي، ولقب محمد بالأستاذ، وهو قائد عراقي المولد، من أبناء الكتّاب، رحل إلى مصر. وولي الكتابة للؤلؤ غلام أحمد ابن طولون ثم عاد إلى بغداد، واتصل بالمكتفى العباسي، فتقدم، وصار من قادته، وولاه قتال القرامطة في الشام، ووجهه إلى مصر، فقاتل الطولونيين، وأزال ملكهم ومحا آثارهم وهدم قصورهم، وعاد بأموالهم ورجالهم يريد بغداد، سنة (٢٩٢هـ/٩٠٥م)، ونقل إلى المكتفي من أخباره بمصر ما أثار نقمته عليه، فأمر به، فاعتقل قبل وصوله بغداد، وصودرت أمواله. وظل سجينا إلى أن أطلقه ابن الفرات في أيام المقتدر في حدود سنة (٢٩٧ه/٩١٠م) وولاه الضياع والأعشار في قزوين. وقتل في معركة على باب الريّ سنة (٣٠٤هـ/٩١٧م).

إن وصفه الخلافة العباسية بالخلافة العراقية، يعبر عن مغالطة تاريخية، وعن نزعة عصبية، فليست هناك خلافة عراقية أو سورية أو حجازية، ولم تعرف مثل هذه الاصطلاحات.

ويقول عبد المنعم ماجد: " وفي كل هذا كان المصريون يعضدون الأسرة الطولونية، لما لمسوه على يديها من استقرار، ولهذا عمدت الخلافة العباسية إلى الانتقام من المصريين"(ماجد، ١٩٦٩، ص ٦٥).

إن عقلية المظلومية المدفوعة بالتعصب الأعمى لمصر، سوغ له أن هدف الخلافة العباسية أو الأموية أو أية خلافة على وجه الأرض ما لم تكن في مصر، فهي ترغب في الانتقام من مصر، وهذا تصور يعكس ضيق الأفق، وتحكم النزعة القطرية في عرض الحوادث التاريخية ودراستها.

ثم قال: " فيقول ابن تغري بردي(ابن تغري بردي، ١٣٨٣هـ ، ص ١٣٩): إن القائد محمد بن سليمان أمر بقطع أيدي وأرجل الناس من المصريين، وقبض على كتاب الدواوين، وقد حاول المصريون الثورة بقيادة أحدهم وهو محمد بن على الخلنجي المصري [*10](ابن تغري بردي،١٣٨٣هـ ، ص ١٤٧– ١٥٥) ؛ ولكن الخليفة العباسي المكتفي بالله أرسل جيشاً في البر والبحر في سنة (٢٩٣/٩٠٦) للقضاء على حركته، التي استمرت ثمانية شهور" (ماجد، ١٩٦٩، ص ٦٥).

والحقيقة أن ما ذكره ابن تغري بردي، والذي ركز عليه عبد المنعم ماجد إنما يمثل نصف الحقيقة، فما ذكره من عقوبات أنزلها محمد بن سليمان إنما هي عقوبة الحرابة في الإسلام، وهي: البروز لأخذ مال أو قتل أو إرعاب مكابرة باعتماد القوة مع البعد عن الغوث(الكاساني، ١٩٨٦م، ص ٩٠)(فتح الله، ١٩٩٥م، ص ١٥٧).

أو هي قطع الطريق، أو هي السرقة الكبرى، وإطلاق السرقة على قطع الطريق مجاز لا حقيقة؛ لأن أخذ المال في السرقة يكون خفية وفي قطع الطريق مجاهرة ابن الهمام، ١٩٨٢م ، ص ٢٦٨).

وقد جاء النص عليها في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(سورة المائدة:

[*10] محمد بن علي أبو عبد الله الخلنجي، من مقدمي الجند بمصر في عهد انحلال الدولة الطولونية. اعتقله محمد بن سليمان مع بقايا أشياع الطولونيين، وسار بهم إلى العراق، فانفلت الخلنجي في الشام ودعا إلى نصرة آل طولون، فاستولى على الرملة بفلسطين وهاجم مصر فدخلها عنوة، ولقيت في أيامه الشدائد، فأرسل الخليفة المكتفي بالله جيشا من العراق ظفر به، وبعثه مقيداً إلى بغداد، فسجن وقتل سنة (٢٩٣ هـ/٩٠٦ م). ومدة حكمه لمصر ٧ أشهر و٢٢ يوماً.

الآية ٣٣). ثم قال: " هذه أحوال مصر، التي أسلمت واستعربت، وبدأت تدخل حوليات مؤرخي الإسلام، حينما بدأ الفاطميون يتطلعون إلى غزوها، وجعلها قاعدة لهم" (ماجد، ١٩٦٩، ص ٦٥).

والحديث عن دخول مصر في الحوليات الإسلامية هنا يناقض ما سبق أن ذكره بقوله: " وعلى العموم، كان تحول المصريين للإسلام، سبباً في دخولهم حوليات المؤرخين المسلمين، وقيامهم بدور هام في تاريخ الإسلام"(ماجد، ١٩٦٩، ص ٦٥).

الخاتمة

١. الدكتور عبد المنعم ماجد مؤرخ مصري نال شهادة الدكتوراه من السوربون في باريس.، له مؤلفات عدة ،مات سنة (١٩٩٩م).
٢. جانب عبد المنعم ماجد الصواب في مواضع كثيرة، وتأثر بفكر المستشرقين ودعاة القومية المصرية، وانطلق بهذا التأثير من دراسة التاريخ الإسلامي.
٣. اعتمد المصادر القبطية والغربية في سرده التاريخي مهملاً المصادر والمراجع العربية إلا التي وافقت هواه.
٤. حاول أن يظهر مصر بمظهر الدولة التي تعرضت للظلم بسبب الفتح الإسلامي، وإن العرب والمسلمين يناصبونها العداء.
٥. لم يبرز عبد المنعم ماجد إيجابيات الإسلام.
٦. أغفل المصادر العربية المعتبرة والمراجع الحديثة المحايدة والمنصفة، واستقى معلوماته من كتب بعض الأقباط.
٧. لم يكن عبد المنعم ماجد دقيقاً ولا أميناً في آرائه التاريخية.

المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري .(١٩٩٧م).الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت.
٢. الأصفهاني، عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد.(٢٠٠٢م). البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تح: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط١، بيروت.
٣. ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف الأتاباكي.(١٣٨٣هـ). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.

٤. الحموي، جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل المازني التميمي.(١٩٥٧م). مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح: جمال الدين الشيال وآخرين، دار الكتب والوثائق القومية، المطبعة الأميرية، ط ١، القاهرة.

٥. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي. (١٩٨٨م). العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، ط٢، بيروت.

٦. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر .(١٩٩٤م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، ط١، بيروت.

٧. الروياني، أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل. (٢٠٠٩م). بحر المذهب في فروع مذهب الإمام الشافعي، تح: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت.

٨. سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن فرغلي .(٢٠١٣م). مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تح: محمد بركات وآخرين، دار الرسالة العالمية، ط١. دمشق.

٩. السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد. (٢٠٠٤). تاريخ الخلفاء، تح: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١.

١٠.الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (١٩٦٧م)، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، ط ١. (بيروت.

١١.ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين الشافعي.(١٩٩٥). تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تح: عمر غرامة العمري، دار الفكر، ط١.بيروت.

١٢.ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (٢٠٠١م)، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تح: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، ط١ .القاهرة.

١٣.الكاساني، أبو بكر علاء الدين بن مسعود أحمد الكاساني.(١٩٨٦). بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، ط٢. بيروت.

١٤.الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (١٩٩٤)، الحاوي الكبير، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١.بيروت.

١٥.ابن مسكويه، أبو علي بن محمد بن يعقوب (٢٠٠٠)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: أبو القاسم إمامي، مطبعة سروش، ط٢. طهران.

١٦.المطرزي، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز (د.ت)، المغرب في ترتيب المعرب، دار الكتاب العربي، ط١. بيروت.

١٧.مغلطاي، علاء الدين بن قليج بن عبد الله البكجري الحنفي (د.ت)، مختصر تاريخ الخلفاء، تح: آسيا كليبان علي بارح، المكتبة العصرية، ط١.بيروت

١٨.المقدسي، مطهر بن طاهر المقدسي (د.ت)، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، ط ١.القاهرة.

١٩.المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي. (٢٠٠٦)، المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط٢.بيروت.

٢٠.ابن المقفع، ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين (١٩٤٣م)، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، المعروف باسم سير البيعة المقدسة، تحقيق نسي عبد المسيح، أسولد برمستر، بلا دار. القاهرة.

٢١.ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (١٩٦٨م)، لسان العرب، دار صادر، ط١، .بيروت.

٢٢.مؤلف مجهول.(١٩٧١م). أخبار الدولة العباسية، تح: عبد العزيز الدوري. وعبد الجبار المطلبي. دار الطليعة للطباعة والنشر. ط١، .بيروت.

٢٣.ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي. (١٩٨٢). شرح فتح القدير، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١. بيروت .

ثانيًا: المراجع:

٢٤.أحمد، إبراهيم خليل. (١٩٨٩). محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، دار المنار، ط ١. القاهرة .

٢٥.أرنولد، سير توماس وولكر .(١٩٧١). الدعوة إلى الإسلام- بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، إسماعيل النجراوي، مكتبة النهضة العربية المصرية، ط١. القاهرة .

٢٦.حليق، عمر.(١٩٤٨). إميل لودفيج، مجلة الرسالة، العدد ٧٩٧.

٢٧.الزركلي، خير الدين الدمشقي.(٢٠٠٢). الأعلام، دار العلم للملايين، ط ١٥. بيروت.

٢٨.عصفور، د. محمد أبو المحاسن. (١٩٨٧). معالم حضارات الشرق الأدنى القديم. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. ط١ . القاهرة .

٢٩.عوض، محمد مؤنس أحمد. (٢٠٠٧). رواد تاريخ العصور الوسطى في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة .

٣٠.الفاروقي، حارث سليمان. (١٩٩٠). المعجم القانوني. مكتبة لبنان. ط١ . بيروت .

٣١.فتح الله، الدكتور أحمد. (١٩٩٥). معجم ألفاظ الفقه الجعفري، مطابع المدوخل. الدمام/ السعودية .

٣٢.القطان، عبد الباقي السيد عبد الهادي. (٢٠٢٢).رواد التاريخ الإسلامي بجامعة عين شمس وجهودهم العلمية والثقافية– كلية الآداب أنموذجاً، بحث ألقي في ندوة كلية الآداب بجامعة عين شمس بتاريخ ٢٠٢٢/٣/٣١م، مطبعة جامعة عين شمس. القاهرة.

٣٣.لجنة التاريخ القبطي. (١٩٩٦). خلاصة تاريخ المسيحية في مصر، دار مجلة مرقس، ط٣. القاهرة .

٣٤.لوبون، غوستاف. (٢٠١٢م). حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة، ط١. القاهرة .

٣٥.ماجد، عبد المنعم. (١٩٦٩م). ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر– التاريخ السياسي، دار المعارف. الإسكندرية.